ايقان الاسلام والايمان او الاخلاص فانه غاية الاحسان حيث
قبل الاخلاص تصفية العمل من طمع عوض وكسب غرض وتخليصه
من رياء وسمعة ولو طرا وعرض وابعد ابن حجر حيث قال الى غير
للعهد الذهني المذكور في الايات الكثيرة من القرآن نحو للذين احسنوا
الحسنى وهل جزاء الاحسان الا الاحسان انتهى ولا يخفى ان المراد
بالحديث المعنى الاخص من افراد الاحسان كما لا يخفى على ارباب
العرفان وكما سيأتي في جواب جبرئيل ما يكون شافيا كافيا في
ميدان البيان ودالا على انه اراد به مقام المشاهدة او المراقبة
على التنزل في الامكان قال ان تعبد الله كانك تراه اي تعبده في
غاية الخضوع ونهاية الخشوع كما يقتضيه مقام الادب
عند شهود الرب والمعنى حال كونك شبيها بمن ينظر الى الله
ولم يلتفت الى ما سواه فيكون فانيا عن نفسه باقيا ببقاء مولاه
وهذا من جوامع الكلم فان العبد اذا قام بين يدي سيده معاينا
له وفي حضرته لم يترك شيئا من تحسين عمله في خدمته مما قدر عليه
في حالته وهذا المعنى موجود في عبادة العبد مع رؤية الله
فينبغي ان يعمل بمقتضاه فان لم تكن تراه اي مثل الرؤية المنوطة
فانه يراك اي تكن بحيث انه يراك او فلا تغفل ذا العمل فانه
يراك ففيه الحث على الاخلاص في الاعمال ومراقبة العبد
ربه في جميع الاحوال قال القشيري ولم يتم المراقبة الا بعد تحقق
المحاسبة وقال بعض العارفين الاول اشارة الى مقام
المكاشفة ومعناه اخلاص العبودية عن رؤية الغير المعبر
عنها بالاثنينية بمنعت ادراك القلب عيان جمال ذات الرب
والثاني الى مقام المراقبة في الاجمال وحصول الحياء من العلم
باطلاع ذي الجلال وهاتان الحالتان من ثمرة معرفة الله
وخشيته ولذا جاء في خبر ان يخشى الله كانك تراه فعبر

بالخشية عن العمل مجازا عن المسبب بالم السبب اذ حالة الخشية اعم
من حالة العبادة فينبغي ان يكون السالك دائما على ذلك المنوال
فانه مقام الكمال ولا يبعد ان يقال معنى تعبد الله يكون عبدا له
في جميع الاحوال بوصف الخشية في الحال والمآل لتنال حسن المآل
وقد سئل ابن عطاء ما افضل الطاعات فقال مراقبة الله
على دوام الاوقات والحاصل ان الخلق يراقبون ظاهرك والله
رقيب باطنك هذا وليس معناه فان لم تكن تعبد الله كانك
تراه فاعبده كانه يراك فانه خطاب بين لا يخفى على ذوي الادراك
واما ما توهمه بعض الصوفية من ان المعنى فان لم تكن بان
تكون فانيا تراه باقيا فلا يساعده اثبات الالف في تراه مع عدم
ملاءمته بما بعده من قوله فانه يراك وانما لم يقل صدقت ههنا
لان الاحسان هو الاخلاص وهو سر من اسرار الله تعالى لا يطلع
عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل كما جاء في الحديث المسلسل
الرباني الاخلاص سر من اسراري استودعته قلب من احببت
من عبادي كذا قيل وفيه بحث ظاهر فالاولى ان يقال انه سقط
من بعض الرواة نسيانا او اختصارا لانه في بعض الروايات صحيح
مسلم وشرح السنة مسطور واما ما وقع في شرح ابن حجر
هنا من قوله قال صدقت فلا وجود في اصل من الاصول المعتمدة ولا
في نسخة من الشروح المعتبرة نعم رواه الترمذي في جامعه وفيه
صدقت في المواضع الثلاثة وقد ذكرته في تركه على الاصح من
الرواية انه لما صدقه في البعض علموا تصديقه له في الكل واما
واما ما قيل من ان في الحديث دلالة على ان رويته تعالى
في الدنيا ممكنة فمردود عليه فان كاف التشبيه في المبنى يمنع
عن ارادة هذا المعنى واما تقرير ابن حجر قوله وتقييده
بقوله وامكانها في الدنيا عقلا هو الحق ففيه انه ليس الكلام

المآل

ما